قصة المولد النبوي لخير البرية
ملخصة من سيرته الزكية

للعلامة
فضول بن محمد الهواري الصوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمَدُكَ اللَّهُمَّ رافِع الخضراء وباسِطَ الغَبْراء، ومُلْهم الحمد والثَّناء، تقدَّست ذاتك، وتسامَتْ صفاتك، فسُبْحانك من مُنْعِم وسِعَتْ نِعمته كل سابحٍ في الماء، وسانِحٍ في الهواء، ومُسْتَكِنٍّ في الأحشاء، ومُسبِّحٍ في الأرض والسماء، ونشهد أنك أنت الله وحدك لا شريك لك في تصرفاتِك، ولا شبيه لك في ذاتك وأفعالك وصِفاتك، ونشهد أنَّ سيِّدنا محمداً عبدُكَ ورسولك ومُصطفاك في سائِرِ مخلوقاتِك، فصلِّ اللَّهُمَّ على هذا النبيِّ الهُمام، عَلَمِ الأعلام، مَهْبِط الوحْيِ والإلهام، سيِّد العرَبِ والعَجم، وشمسِ الهِداية ومِصْباح الظَلام، وعلى آلِهِ المُهْتَدين بهَدْيِه، وصحابته المُتَّبِعين لما جاء به.

أما بعد، فبُشْرى لنا مَعْشَر المسلمين، بهذا النبي الأمين، المبعوثِ رحمةً للعالمين، المُرْسَل في الأمِّيِّين، دعوة أبيه إبراهيم، وبُشْرَى عيسى والنَّبيين، ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ [الجُمُعَة: الآيتان ٢، ٣].

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصَّف: الآية ٦].

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ٨١].

عليكَ يا رسول الله من صلواتِ الله وتسليماته وتحيَّاته وبرَكَاته، ما يُماثِل قَدْرَكَ العظيم، ويُعادِلُ فَضْلكَ الفخيم.

اللَّهُمَّ صلِّ على هذا النبِّي الكريم، صاحب الخُلُقِ العظيم، صلاةً لا نهاية لها كما لا نهاية لكَمَالِكَ وعَدَّ كَمَالِهْ

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ أنه قال: «إنَّ

الله اصْطَفى كِنانَةَ من وَلَدِ إسماعيل، واصطفى قُرَيشاً من كِنانة، واصْطَفى من قُريشٍ بني هاشم، واصْطَفاني من بني هاشم». وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال النبيُ ﷺ: «بُعِثْتُ من خيرِ قُرُونِ بني آدَمَ قَرناً فقرْناً، حتى كنتُ مِن القرنِ الذي كنت منه».

تنقَّلَ أحمدُ نُوراً عظيماً ... تلألأ في جِباهِ السَّاجِدِينَ
تقلَّبَ فيهم قرْناً فقَرْناً ... إلى أن جاءَ خَيْرُ المُرْسَلِينَ
وبَدَا للوُجُودِ منكَ كَرِيمٌ ... من كَرِيم آباؤُهُ كُرَمَاءُ
نسَبٌ تَحْسِبُ العُلَى بِحُلاهُ ... قلَّدَتْها نُجُومها الجوْزَاءُ
حبَّذَا عِقْدُ سُؤْدَدٍ فخَارٍ ... أنت فيه اليَتِيمَةُ العَصْمَاءُ

هذا، ومِمَّن وُلِدَ لعبد المطلب أبو طالبٍ وحمزة والعباس وعبد الله، وكان عبد الله هذا من أجمل قريش وجهاً وأرقِّهم طبعاً، وأكرمهم خِلالاً، وأشْرَفِهم مثالاً، ولما بلغ عبد الله مبلغ الشباب، أراد أبوه أن يُتوِّجَهُ بتاجٍ من الزواجِ المُسْتطاب، فخطب له آمنة بنت وهب بن عبدِ مناف، سيِّدة نِساء الدُّنيا يومئذ خَلْقاً وخُلُقاً من غير خِلاف، فما لبِثَ أن حَمَلَتْ بسيِّدِ العربِ والعجم، عليه أفضل الصلاةِ والسلام.

عليك يا رسول الله من صلواتِ الله وتسليماته وتحيَّاته وبركاته، في كل لحظةٍ ما يُماثِلُ قَدْرَكَ العظيم، ويُعادِلُ فضلَكَ الفخيم.

اللَّهُمَّ صلِّ على هذا النبِّي الكريم، صاحب الخُلُقِ العظيم، صلاةً لا نهاية لها كما لا نهاية لكَمَالِكَ وعَدَّ كَمَالِهْ

وهل بَعْدما أثْنَى الإلٰهُ بنفسِهِ ... على خَيْرِ خَلْقِ اللّهِ أكْرَمِ رُسْلِهِ
يَرُومُ بَلِيغٌ شأوَ مِعْشَارِ مدحِهِ ... فما نظرَ الرَّاؤونَ مثلَ جمالِهِ
ولا سَمِعتْ أُذْنٌ كَذِكْرِ محمَّدِ
يتيمَةُ عِقْدِ الكونِ فَرْدُ كمالِهِ ... إفاضَةُ نُورِ الكلِّ يَنْبُوعُ سِرِّهِ
فما طُوِيَتْ حُجْبُ الجلال لغَيْرِهِ ... ولا وُطِئَتْ أرْضٌ بِمِثْلِ نِعالِهِ
ولا وَضَعَتْ ... أُنْثَى كَشِبْهِ مُحَمَّدِ

ولما أراد الله تعالى إبراز هذا المولِدِ، وإظهار هدايته لكل موجود، رحمةً للعباد ليهديهم إلى توحيد الملك المعبود، تمخَّضت آمنةُ الطَّاهِرة، ليلة الاثنين الزَّاهرة، وذلك عام الفِيلِ على أصحِّ الأقاويل، من شهر ربيع الأول، على المشهور وعليه المُعَوَّل، قال ابن عباس رضي الله عنهما: وُلِدَ نبيُّكُم يوم الاثنين، ونُبِّيءَ يوم الاثنين، وهاجرَ يوم الاثنين.

ألا لـلَّـهِ يـومٌ سـوَّمَـتْـهُ ... يَـدُ الرَّحمٰنِ بالنِّعَمِ الحِسانِ
ولحظَةُ ساعةٍ سبقتْ فجَلَّى ... وصلَّى في هُداها كُلَّ آنِ
رسولَ اللَّهِ معذِرَةً إذا ما ... عجِزْتُ وقصَّرَتْ مني اليَدَانِ
أحاول من مديحِكَ سابِقاتٍ ... فيُعْجِزُ مَنْطِقِي عِظَمُ البيانِ
وكلٌّ فتىً يُحاول منك وَصْفاً ... يُعانِي في سُمُوِّكَ ما يُعانِي
سلامُ اللَّهِ من فلذَاتِ قلْبٍ ... يحبُّك خافِقُ الفلذاتِ حانِي

عليكَ يا رسول الله من صلواتِ الله وتسليماته وتحيَّاته وبَرَكَاته، من كل لحظة ما يُماثِل قَدْرَكَ العظيم، ويُعادِلُ فَضْلكَ الفخيم.

اللَّهُمَّ صلِّ على هذا النبِّي الكريم، صاحب الخُلُقِ العظيم، صلاةً لا نهاية لها كما لا نهاية لكَمَالِكَ وعَدَّ كَمَالِهْ

حُبُّ النبيِّ ذَخِيرتِي أخْفِيهِ ... في القلبِ لكن حُبُّ أحمدَ فيهِ
والجِسمُ مُضْطرِبٌ بما يُغْنيهِ ... جسدٌ تمكَّنَ حُبُّ أحمدَ فيهِ
تَا اللَّهِ إنَّ الأرْضَ لا تُبْلِيهِ
رُوحِي وجِسْمِي والفؤادُ فِداؤُهُ ... بل كُلُّ ذلك في الحقيقةِ مِلْكُهُ
كيفَ البِلَى للجِسْمِ وهو حياتُهُ ... أم كيفَ يُبْلِيهِ التُّرابُ وحُبُّهُ
في قَلْبِهِ ومديحُهُ في فِيهِ
لا يعرِفُ الناسُ في الدنيا حقيقتَهُ ... فالعقْلُ عنها بِحَبْلِ العَجْزِ مَعْقُولُ
وفي القيامَةِ تبدُو شمسُ رُتْبَتِهِ ... كأنَّها فَوقَ هامِ الخَلْقِ إكليلُ
يجُرُّ في الحَشْرِ ذَيْلاً من مهابَتِهِ ... بفَضْلِ كلِّ خَلْقِ اللَّهِ مَشْمُولُ
حيثُ الشَّفاعة لا تَرْضَى سِوَاهُ ولا ... يَقْوَى لِخِطْبَتِها الغُرُّ البهالِيلُ
وأحْجَمَ الرُّسْلُ حتى قال قائِلُهُمْ ... في ظِلِّ أحمدَ يا كُلَّ الوَرَى قِيلُوا

وظهرَ للخلْقِ في مُدَّةِ حَمْلِهِ وولادته ﷺ ما انْتَشَرت أخبارُهُ للعالمين، وانكشفت أسراره للعارفين، وسَطَعَتْ أنوارُهُ للنَّاظرين، من أعلام نبوَّتِهِ الباصِرَة، وآيات رسالَتِهِ الظاهرة، وشُمُوس هدايَتِهِ الباهِرَة، ما دلَّ على قُرْب ولادته وبُزُوغ شمس هدايته ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل: الآية ١] ما دل على قُرْبِ نبوَّتِهِ انْشِقاقُ الإيوانْ، وغِيضُ ماء الفُرْسِ وخُمُودُ النِّيران، وتَنْكِيسُ الأصنامِ والأوثان، واخْتَصَّتْ أمُّهُ برؤيَةِ عجائِبِ الآياتِ وسواطِعِ الأنوار.

عليكَ يا رسول الله من صلواتِ الله وتسليماته وتحيَّاته وبَرَكَاته في كل لحظة ما يُماثِل قَدْرَكَ العظيم، ويُعادِلُ فَضْلكَ الفخيم.

اللَّهُمَّ صلِّ على هذا النبِّي الكريم، صاحب الخُلُقِ
العظيم، صلاةً لا نهاية لها كما لا نهاية
لكَمَالِكَ وعَدَّ كَمَالِهْ

لقد كان كلُّ شيءٍ من سِماتِ هذا النبيِّ الكريم وصفاته، وحركاتِهِ وسكناتِهِ، ونُطْقِهِ وشَكْلِهِ وسَمْتِه، وما يُنْبِيءُ بأنَّ هذا النَّاشِىءَ لم يُخْلَقْ إلاَّ لأمرٍ عظيم، وخَطْبٍ جسيم، وكان من فضل ربِّ البريَّة أن يتعاهد هذه النفس الزَّكية، بحُسْنِ الرِّعاية والتَّربية، فوق ما هيَّأ لها من الفضائل الكَسْبِية، ولذا قال هذا النبيُّ العربي: «أدَّبني ربِّي فأحسن تأدِيبي»[1] ليتخلَّق بأخلاقِ مولانا وينشأ على أدَبِهِ وهُدَاه. كان ﷺ أكْرَم الخَلْقِ أخلاقاً، وأعْلاهُم فضائِل إطباقاً، وقد خاطَبَهُ العليُّ العظيم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: الآية ٤].

فكان بادِي الرَّوْعة، ضاحِيَ الطَّلعة، في وجهه صفاءٌ وزُهْرَة، وفي خدِّهِ بياضٌ مُشْرَب بحُمْرَة، واسِعَ العينين، أكْحَل الجَفْنين، غزِيرَ الأهداب، مقْرُونَ الحاجِبين، في دقَّةٍ وانْحِنَاء، أسْوَدَ الشَّعْرِ في انْسِقال، طويل العُنُقِ في جمال، عَرَقَهُ أطيَبُ من المِسْكِ الذَّكي، وأرْوَحُ من الزَّهْرِ النَّدِي، لم تَلِدِ النِّساءُ قبله ولا بعده مثله.

وأجْمَلَ منك لم تَرَ قطُّ عيني ... وأكْمَلَ منك لمْ تَلِدِ النِّساءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّءاً من كُلِّ عَيْبٍ ... كأنك قد خُلِقْتَ كما تشاءُ

عليكَ يا رسول الله من صلواتِ الله وتسليماته وتحيَّاته وبَرَكَاته في كل لحظة ما يُماثِل قَدْرَكَ العظيم، ويُعادِلُ فَضْلكَ الفخيم.

اللَّهُمَّ صلِّ على هذا النبِّي الكريم، صاحب الخُلُقِ
العظيم، صلاةً لا نهاية لها كما لا نهاية
لكَمَالِكَ وعَدَّ كَمَالِهْ

أخذتَ السَّبِيلَ على الواصِفِينْ ... فمن ذا يقولُ ومن ذا يُبِينْ
إذا ما تبدَّيْتَ للناظِرِينْ ... غَمَرْتَهُمْ بسَنَاكَ المُبِينْ
وحَيَّرْتَ ألبابَهُمْ أجْمَعِينْ

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء حديث رقم (١٦٤) [ج١ ص٧٢] وأورده العسقلاني في الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع، [٩٧/١] وأورده غيرهما.

مـن أيِّ الـنـواحـي يَـفِـيـكَ الـمـقـالْ وقـد جَـمـعَ الـلَّـهُ فـيـكَ الـكـمـالْ
وألَّـفَ فـيـكَ صـنُـوفَ الـجَـمَـال وألْـقَـى عـلـيـكَ رِداءَ الـجـلالْ

وصـاغَـكَ مِـن نُـورِهِ الـمُـسْـتَـبِـيـنْ

جَـمَـعْـتَ فـيـك مـحـاسـنـاً مـظـاهـرُهـا هـذا الـوجـودُ وسِـرُّ الـسِّـرِّ بـاطِـنُـهـا
تـبـارَكَ الـلَّـهُ مـا أحْـلَـى شـمـائِـلَـهُ هـامَ الـوَرَى فـي مـعـانٍ أنـت جـامِـعُـهـا

وكُـلُّـهُـم لـكَ عُـشَّـاقٌ ومـا عَـلِـمُـوا

أيـا مـادِحَ الـمُـخـتـارِ مَـدْحُـكَ أطْـرَبَـا وعـن سِـرِّ مَـكْـنُـونِ الـمـحَـبَّـةِ أعْـرَبـا
غَـدا مـدحُـكَ دِيـنـاً لـديَّ ومَـذْهَـبَـا أيـا مـوْلِـدَ الـمُـخْـتـار أهـلاً ومـرحـبـا

لـقـد جِـئْـتَ بـالأفـراحِ فـي كـلِّ مَـشْـهَـدِ

بـذِكْـرِكَ قـد نِـلْـنـا الـسـعـادة والـمُـنَـى وطِـبْـتَ وطـابَ الـمدْحُ فيك مع الثَّـنَـا
وعـمَّ الـوَرَى نُـورُ الـهِـدايَـةِ والـسّـنـا أيَـا مَـعْـشَـرَ الـعُـشّـاق حُـقَّ لـنـا الـهَـنَـا

بـمَـوْلِـدِ خـيـرِ الأنْـبِـيـاءِ مُـحَـمَّـد

وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في مراسِل خالد بن مَعْدان، والإمام أحمد من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال الصحابة: يا رسول الله، ما كان بَدْءُ أمْرِك، قال: «دعوةُ أبي إبراهيم وبُشْرى عيسى، ورأت أمِّي حين حَمَلَتْ بي كأنه خرج منها نُور أضاءَتْ له بُصْرَى من أرضِ الشام». وصحح ابن حبَّان رحمه الله أن ذلك النور تمثَّل لعينها حين أخذها المخاضُ فوضعته ﷺ، وشرّف وكرّمَ ومجّدَ وعظّمْ.

الـسـلامُ عـلـيـك يـا أولَ حـامِـدٍ وأوّلَ مُـحَـمَّـد «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
السلامُ عليك يا سَعْدَ الخَلِيقَةِ يا مُحَمَّد «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
الـسـلامُ عـلـيـك أيُّـهـا الـنَّـبِـيُّ الأوْحَـدْ «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
الـسـلامُ عـلـيـك يـا أفْـضَـلَ وَالِـدٍ ومَـوْلُـود «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
الـسـلامُ عـلـيـك يـا مَـعْـدِنَ الـكَـرَمِ والـجُـود «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
الـسـلامُ عـلـيـك يـا أكْـرَمَ الآبـاءِ والـجُـدُود «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
السلامُ عليك يا صاحِبَ الوسيلَةِ والمقامِ المَحْمُود «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
السلامُ عليك يا مَصْدَرَ الحقائِقِ والعِرْفان «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
السلامُ عليك يا عُنْصُرَ المَعْرُوفِ والإحْسان «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
الـسـلامُ عـلـيـك يـا سِـرَّ نُـقْـطَـةِ دائِـرَةِ الأكْـوَانِ «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
الـسـلامُ عـلـيـك يـا حُـجَّـةَ الـلَّـه «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»

السلامُ عليك يا صَفْوَةَ الإلٰه «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
السلامُ عليك يا هَدِيَّةَ اللَّه «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
السلامُ عليك يا صِرَاطِ اللَّه «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
السلامُ عليك يا شَفِيعَ الخَلاَئِقِ أجْمَعِينِ «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
السلامُ عليك يا قائِدَ الغُرِّ المُحَجَّلِين «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
السلامُ عليك يا سيِّدَ الأوَّلِينَ والآخِرين «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»
السلامُ عليك وعلى آلِكَ وأصْحَابِكَ أجْمَعِين «صلَّى اللَّهُ عليْكَ وعَلَى آلِكَ وسلَّم»

الحاج فضول الهواري